اللغة وسيلة تواصل عبر الثقافات

الباحثة /**هدى فتحي عبد المنصف محمد الهنداوي**
طالبة ماجستير- قسم اللغة الفرنسية- كلية الآداب - جامعة المنوفية

مقدمة

لا شك أن اللغة آية من آيات الله سبحانه وتعالى , حيث قال الله تعالى في كتابه الكريم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم , بسم الله الرحمن الرحيم : " **ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم , إن في ذلك لآيات للعالِمين** " صدق الله العظيم (الروم 22).

اللغة هى الوسيلة الأولى للتواصل وهى الفكر والسلوك وليس رموز كلامية فقط .

اللغة تمثل أحد أهم مقومات الثقافة والعلوم الإنسانية وترتبط بالفكر , بل هى الفكر أصلا , حيث أن أي كلام منطوق ما هو إلا في أصله عبارة عن" **أفكار**" .

واللغة قابلة للتطور أو الفناء , وهى الوسيلة التي يعبر بها الإنسان عن هويته وثقافته.

وفي تعريف اللغة ذكر بن جنّي اللغة بأنها " **تمثل الهوية الثقافية لأى مجتمع , فهي ليست مجرد أصوات بل هي تعبير عن معطيات فكرية مقصودة من هذه الرموز الصوتية** ".

ويعد الكاتب الفرنسي فرديناند دي سوسير من أوائل الكتّاب الغرب الذين أبحروا في اللغة بعد بن جنّي العربي , حيث عرّف سوسير اللغة بأنها " **ظاهرة اجتماعية كونها نظام اشارات ورموز يستخدمها الإنسان للتعبير عن مجمل أفكاره** "

ومن أجمل ما قيل في تعريف اللغة – من وجهة نظري – تعريف العالم ريكور حيث قال أن " **اللغة مسكن الإنسان وهى التي تتكلم الإنسان لا هو الذي يتكلمها , فاللغة هى حياة الإنسان وهى موته في نفس الوقت** ".

اشكالية البحث :

نحاول من خلال هذا البحث التعرف علي كيفية توظيف اللغة واستغلالها الاستغلال الأمثل لتحقيق عملية التواصل عبر الثقافات .

ولا شك أننا من خلال مسيرة هذا البحث المتواضع سوف نؤسس لبعض المحاور الضرورية التي تخدم تلك اشكالية .

المحاور الرئيسية :

تم تقسيم هذا البحث إلي محورين رئيسيين وهما كالتالي :

المحور الأول (اللغة على المستوى الأكاديمي) نتناول فيه :

- **خصائص اللغة**
- **مستويات اللغة (شكلاً ومضموناً)**
- **نظريات اكتساب اللغة**
- **دور النظرية الخليلية الحديثة في اللغة العربية كمثال**

المحور الثاني (اللغة على المستوى السلوكي والثقافي)
نتناول فيه :
- مفهومى الاتصال والتواصل
- اللغة اللفظية وغير اللفظية (لغة الجسد)
- أهمية الترجمة كحلقة وصل في التبادل الثقافي
- العولمة والفرق بينها وبين العالمية

خاتمة
نتناول فيها توصيات البحث
- توصيات للنهوض بالمستوى الأكاديمي للغة
- توصيات للإرتقاء باللغة على المستوى السلوكي الثقافي.

المحور الأول
بدايةً سوف نتعرف سوياً على **خصائص اللغة** :
- اللغة هى أصل ومكون جميع العلوم الانسانية والطبيعية أيضاً :
قال ليفي ستراوس عن اللغة " **هى جسراً تعبّر عنه كل العلوم الانسانية , لأن العلوم المختلفة ما هى إلا لسانيات بمفهوم الآليات المنهجية لكنها بقيت علوماً مستقلة بمفهوم المدلولات المعرفية وهذا معناه التوحّد إلى حد كبير بين مفهوم العلمية المجردة والبحث اللساني , ولهذا كان أمراً طبيعياً أن تقفز المنهجية اللسانية إلي صدارة العلوم الإنسانية** " .
- اللغة وسيلة تعارف المجتمعات والشعوب والقبائل :
حيث قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : **" يا أيها النّاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا , إن أكرمكم عند الله أتقاكم , إن الله عليم خبير "**
(الحجرات 13) .

- اللغة عملية انسانية واجتماعية :
اللغة تتم بواسطة الانسان وبين الناس بعضهم البعض , فهى فعل بشري وتتم في اطار جماعي من خلال الاتصال أو التواصل وفي اطار مجتمعي أى داخل المجتمع .
ومن هنا فإن بن خلدون أسس اتجاهاً جديداً في علم الاجتماع وهو **"علم اللغة الاجتماعي"** والذي يدرس كيفية تأثير اللغة في المجتمع . ويندرج تحت هذا الاتجاه اتجاه فرعي وهو **"علم اللغة السياسي"** وهو الذي يدرس الخطاب السياسي ومدى تأثيره على الأفراد والمجتمع .

- اللغة تقع بين الطبيعة والثقافة :

لأن اللغة طبيعية من حيث أن كل انسان يمتلك منذ الولادة القدرة على تعلّم أى لغة من لغات العالم, وهى في نفس الوقت ثقافية من حيث كونها نظاماً يصنعه المجتمع ويتطور بتطوره .

- اللغة متنامية :

حيث أنها مستمرة باستمرار الحياه وقابلة للتطوير والنمو من خلال الممارسة والتدريب واكتساب مفردات جديدة .

وقال بن خلدون عن العلاقة بين اللغة والمجتمع أن : " **اللغة عبارة عن كائن حى تنمو إذا ما توفرت لها عوامل الاستمرارية والديمومة , فحين يتطور المجتمع حضارياً تتطور اللغة والعكس صحيح** ".

- اللغة صوتية : أى أنها تعتمد على النطق والجهاز الصوت .

ومن هنا كان لابد من أن نعرف ماهية العلم الذي يختص بدراسة اللغة .

اللسانيات هى العلم الذي يدرس ويختص بعلم اللغة . وهذه الدراسة تكون علمية وموضوعية من خلال دراسة الألسنة الخاصة بكل قوم . وهذه الدراسة تقوم على ملاحظة الظواهر اللُغوية والتجريب والاستقراء (أى من الجزء إلى الكل) وبناء وضبط النظريات الكلّية واستعمال النماذج والتحاليل الرياضية الحديثة .

ويرى العالم بلومفيلد أن فائدة اللسانيات أنها تؤهّل للتطبيق العملي في تعليم اللغات وممارستها.

وهنا يأتي دور وأهمية ما أَطلق عليه بعض العلماء " **اللسانيات التربوية التعليمية** " , حيث أنها تهتم بالوسائل التي تساعد على تعليم اللغة الأم أو اللغات الأخرى . فأى علم إذا لم يُطبَّق في الواقع سيبقى " **فلسفة نظرية** ".

وظهر مفهوم "**التعليمية**" لأول مرة في النصف الثاني من القرن العشرين واعتبر العالم لالند في عام 1988 أن التعليمية في اللسانيات هى فرع من فروع **البيداجوجي** (**التربية**) وموضوعه هو " **التدريس**" وتقنياته والأشكال التي تنظّم مواقف التعليم التي يخضع لها التلميذ بهدف الوصول به لأعلى مستويات النمو المعرفي والعقلي والمهاري والوجداني والسلوكي على مستوى اللغة

مستويات اللغة (من حيث الشكل العام) :

مستوى اللغة هو السمة المميزة للغة الواحدة عند استخدامها للتواصل , سواء من خلال النطق أو الكتابة أو الاشارة أو أى وسيلة تعبير أخرى , والمستوى اللُغوي هو معيار لمقارنة اللغات المختلفة مع بعضها. وتنقسم مستويات اللغة إلى :

- اللغة المثالية : هى لغة النصوص المقدّسة المنزّلة , خاصةً القرءان الكريم , وهى اللغة العربية.

- اللغة الفصحى التراثية : أعلى مستويات اللغة البشرية وهى لغة رصينة وجذلة .

- **اللغة الفصحى المعاصرة** : هذا المستوى تخفِّف فيه اللغة من عمق الدلالة وروعة البلاغة .
- **اللغة المختلطة** : ومنها يختلط الكلام الفصيح بالكلام العامي.
- **اللغة العامية** : وهى لا تهتم بالقواعد اللغوية .
- **الفرانكو آراب** : هى ترجة اللغة العامية بكتابة انجليزية , وهى طريقة مُختلَقة حديثاً لبعض الأفراد الذين لا يتقنون الكتابة بالعربية , غالباً من يستخدم الكتابة بهذه الطريقة **الفرانكو آراب** يكون متقن للغة الانجليزية عن اللغة العربية . ولها دور سلبي جداً في محو اللغة الصحيحة عند الفرد .

مستويات اللغة من حيث المضمون :
- **المستوى الصوتي** : خاص به جهاز النطق عند الانسان .
- **المستوى المعجمي** : هو حصيلة لُغوية تُكتَسب من خلال التواصل والاتصال.
- **المستوى النحوي** : عبارة عن كلمات الجملة وتركيبها .
- **المستوى الدلالي** : خاص بالمعاني والدلالات . ويشمل مستويات معينة هى :

(أ)- **المستوى الادراكي** : وهو المعنى الاساسي أي مستوى العلاقات المنطقيّة .
(ب)- **المستوى النحوي**
(ج)- **المستوى الأسلوبي** : (يتكون من أسلوب شخصي وأسلوب عام).
(د)- **المستوى الاجتماعي**
(ه)- **المستوى البرجماتي** : أى معرفة العمليات النفسيّة التي تتم بين الأفراد خلال عملية الاتصال.

نظريات اكتساب اللغة :

1-النظرية الفطرية :

مبدأ هذه النظرية هو أن هناك موهبة فطرية بيولوجية لدى أى انسان , حيث يوجد أجزاء بيولوجية في دماغ الانسان مسئولة عن اكتساب مكونات اللغة . هذا الاكتساب يحدث أيضاً من قبل الميلاد أثناء فترة الحمل , فالجنين يسمع الأصوات على هيئة ذبذبات تُسجَل لديه على القشرة المخيّة .

ويندرج تحت هذه النظرية عدة توجّهات ونظريات أخرى مثل :

- **نظرية تشومسكي بخصوص القواعد العمومية** :

تفترض هذه النظرية أن الانسان يولد مزوّداً بمعرفة لُغوية عمومية خاصة به سمّاها " **القواعد العمومية** " ولها **مصدرين هما** :

(أ)- **المصدر النظري** : يتمثل في معرفة لُغوية سابقة كامنة .
(ب)- **المصدر التجريبي** : يهتم بدراسة البُنى السطحية للغات شتّى لتحديد اختلاف اللغات وقواعدها.

- **نظرية كراشن** :
ويُطلَق عليه **" النموذج الموجّه "** : وهو نموذج دراسة الأداء اللغوي . وتطورت هذه النظرية بعد ذلك.
هذه النظرية عبارة عن **نظامين** هما :
(أ)- **نظام مُكتسَب** : يتشكّل من قدرات خاصة لدى الانسان بالإضافة إلى معرفة لُغوية لا شعورية مُكتسبَة من اللغة المُتعلَّمة .
(ب)- **النظام المُتعلَّم** : من خلال المؤسسات التربويّة , وهو نظام شعوري مُدرَك يقوم بدور المراقب والموجّه.
- **النظرية المعرفية** : وهى تهتم بالعوامل الداخلية المُنظمَة المختصة بالعمليات العقلية العُليا المعرفية مثل الإنتباه والادراك والتذكر والتفكير ... إلخ.
هذه النظرية أول من وضعها هم علماء النفس التربويين **جماعة الجشطالت** . هذه النظرية تعتمد علي التعلم من خلال **الاستبصار** , حيث يُدرِك الشخص عناصر الموقف المختلفة فينطلق من الكل إلى الجزء .
هذه النظرية المعرفية هى الاتجاه النظري المقابل لآراء السلوكيين (**المدرسة السلوكية الكلاسيكية**) التي تعتمد على مبدأ **المحاولة والخطأ** والتعلم من خلال قياس **الفترة الزمنية** بين **المثير** و**الاستجابة** , حيث أنه كلما كان عدد محاولات التعلم قليلة كلما كان ذلك مؤشراً لسرعة التعلّم واكتساب اللغة , وكلما زادت عدد محاولات التعلم كلما كانت الفترة الزمنية كبيرة وبالتالي يصعب التعلم .

2- النظريات البيئية :
هذه النظرية تفسّر اكتساب اللغة أنه وليد **البيئة والتنشئة الاجتماعية** وأن ليس هناك كوامن فطرية سابقة . من أبرز هذه المدارس **المدرسة السلوكية** ومن أشهر علمائها **سكنر** الذي اعتمد في نظريته على مبدأ **التعزيز الموجب** للمتعلِم بعد حدوث الاستجابة .

3-النظريات التفاعلية :
هذه النظرية تدمج العوامل البيئية الخارجية بالعوامل الفطرية الداخلية .
صعوبة دراسة مناهج اللغات في المدارس والجامعات يعد من المشكلات التي تواجه الجيل الحالي.
فنادى بعض الكتاب بضرورة إلغاء الإعراب متأثرين بآراء المستشرقين وفكرهم ومنهم سلامة موسى ونادى في نفس الوقت بالتحدث باللهجة العامية والاستغناء عن الفصحى العربية .
وجاء دور النظرية الخليلية التي لعبت دوراً واضحاً في تبسيط وتسهيل النحو والإعراب في اللغة العربية .
فكيف نلغي الإعراب وهو منطق الكلام وبيان معانيه وجوهره !!!

وعن أهمية الإعراب يقول بن فارس : " **من العلوم الجليلة التي خُصَت بها العرب , الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ , وبه يُعرَف الخبر الذي هو أصل الكلام , ولولاه ما يُعرف الفاعل من المفعول , ولا مضاف من منعوت , ولا تعجّب من استفهام , ولا صدُر من مصدر , ولا نعت من تأكيد** ." .

ويقول أيضاً يوهان فك : " **لقد احتفظت العربية الفُصحى في ظاهرة التصرّف الإعرابي بسِمة من أقدم السمات اللُغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية , باستثناء البابلية القديمة , قبل عصر نموّها وازدهارها الأدبي .** " .

دور النظرية الخليلية الحديثة في اللغة العربية كمثال :

النظرية الخليلية الحديثة هى لصاحبها الدكتور **عبد الرحمن حاج صالح** وهى تقوم على احياء المبادئ التي وضعها النحوي **خليل الفراهيدي** , وهذه النظرية سبقت نظرية تشومسكي .

الأصل في النظرية الخليلية أنها تعتمد على **أصغر وحدة ممكنة** في الجملة وتحليل الجملة عن طريق تركيبي تفريعي يَنطلِق من أصغر وحدة وهى **المفردة** ثم يتجه إلى الزيادات والتفريعات. فمنهج النظرية الخليلية يحدد الوحدات أما النظريات الغربية مثل **البنائية ونظرية تشومسكي** تنطلق من مبدأ " **التقطيع والاستبدال**".

في النظرية الخليلية " **العامل** " هو محور التركيب وهو المُسيطِر (**نواة الكلام**) بالإضافة إلى الأصل الذي يمتلك وظيفة تركيبية . والعامل في النظرية الخليلية أيضا هو سبب الحركة الاعرابية ومن هنا فهو سبب بناء الكلام وبدونه لا فائدة للكلام .

فالعامل يُعنِي حالة اعرابية والحالة الاعرابية تُعنِي العلامة الاعرابية والعلامة الاعرابية تؤدي إلى أثر صوتي . ومن هنا فقامت النظرية الخليلية على عامل تركيبي بنائي أو لفظي بسيط خاص ببناء الجملة وعامل معنوي يحدد المعنى النحوي .

أما النظرية التوليدية لتشومسكي فإنها لا تنطلق من العامل ولكن تنطلق من الجملة قبل تحديد مكوناتها المباشرة .

هناك بعض المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية :

- **الاستقامة والمُحال** :

وينقسم فيها الكلام إلى :

1- **المستقيم الحسن** : مثل : رأيت صديقي أمس .

2- **المُحال** : رأيت صديقي غداً.

3- **المستقيم القبيح** : يُعني وضع اللفظ في غير موضعه مثل : كى علياً أضرب.

4- **المُحال الكذب** مثل : سوف أقابل أصدقائي البارحة.

ومن هنا اهتمت النظرية الخليلية بالمعنى واللفظ معاً .

- **الانفصال والابتداء منطلق التحليل** :

مبدأ الانفصال والابتداء يُقصد به أقل ما يُنطق به أىّ كلمة أى أن كل ما يُنفصل ويُبتَدئ به هو مفردة أو كلمة تتولّد منها الفروع .
ومن هنا كان للنظرية الخليلية دوراً فعالاً في تبسيط النحو والإعراب عن الوضع السابق.
والخلاصة أن اللغة على المستوى الأكاديمي والدراسي تحتاج إلى تبسيط المادة العلمية للمتعلم من خلال مناهج تناسب الفروق الفردية للمتعلمين وتنوع طرق التدريس وإعداد المعلم إعداداً جيداً ومستمرا واتاحة امكانيات مادية لتأسيس جيد للبنية التحتية الخاصة بالمؤسسة التعليمية واهتمام بالمؤسسة نفسها كمبنى مادي وتطويع التطور التكنولوجي في خدمة وتحسين مستوى اللغة لدى المتعلم .

المحور الثاني

***الاتصال والتواصل :**

الاتصال فطرة فطر الله النّاس عليها لكى تستقر الحياة ولكى يحدث تبادل في النشاطات الاجتماعية والثقافية .وهو وسيلة للترابط والتماسك الاجتماعي ويقوّي علاقات الجماعات والأفراد .

و**لعملية الاتصال مظاهر هى** :

- **التعبير المستمر والعلاقة الفاعلة** .

- **اتصال ذو اتجاهين** أى يتضمن عنصرين متفاعلين مُرسِلاً ومستقبِلاً وليست مجرد رسالة لأن الرسالة قد لا تتطلب وجود مستقبِل .

- **عملية الاتصال عملية اجتماعية** بمعنى أنها لا تتم في عزلة ولكن لابد من وجود أفراد آخرين عبر أنماط سلوكية متعددة . مع الأخذ في الاعتبار حركات ولغة الجسد مثل الابتسامة , العيون ... إلخ فهى لها دور كبير في عملية الاتصال .

هناك أيضاً **الاتصال غير اللفظي** ويُقصَد به لغة الرموز والاشارات والايماءات وأَطلق عليه " إدوارت هو " **اللغة الصامتة** وهو مناسب أكثر في حالة الأماكن البعيدة بين طرفى الاتصال , كما في حالة التواصل من خلال دقّ الطبول لتوصيل رسالة ما في مجتمعات معينة .

ويقول أحمد حسن محمد الأستاذ المشارك بكلية الشريعة جامعة الخرطوم (السودان) أن من آداب عمليات الاتصال اللغوي هو البُعد عن التلاين والالتواء في اخراج الحديث والألفاظ لأن هذا قد يقود السامع لفهم مقاصد مغايرة لمعاني الكلمات المنطوقة وبالتالي تكون الاستجابة هي أيضاً مغايرة .

ويوضح أحمد حسن محمد أن الاسلام هو أول من نادى بعدم الالتواء في اخراج اللفظ في قول الله تعالى : " **ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض** " , ومن هنا لابد للفظ أن يكون بلسان سليم ولهجة مستقيمة .

وقال أيضاً أن الاسلام اهتم أيضا بملابس المرأة وزينتها أن تكون موجهة في الوجهة الشرعية فهذا نوع من حُسن الاتصال , حيث تكون حشمة المرأة اتصال حَسن يؤدي

إلى استجابة سليمة غالباً , وعكس ذلك هو التبرّج الذي يؤدي إلى فهم خاطئ أو سوء ظن أو شك وبالتالي لا يحدث اتصال حَسن حيث يكون الاتصال هنا في غير وجهته وفي غير موضعه .
يقول أيضاً أحمد حسن محمد أن الصلاة هى وسيلة الاتصال مع الله سبحانه وتعالى حيث أنها اتصال بين الله وعباده واتصال مع العباد بعضهم البعض حيث يجتمع المسلمون في المساجد ويصطفّون في صفوف منسجمة مترابطة , فهي توحِّد أصحاب الحى الواحد وتقوِّي روح التعاون بينهم

وحتى خطبة الجمعة وصلاة الجمعة اتصال روحي وروحاني جميل ثم يتطور في حالة صلاة العيدين الفطر والأضحى ثم يصبح اتصالاً عالمياً من خلال مناسك الحج الأكبر الذي يجمع ويشمل كل الجنسيات وكل الألوان من جميع فئات العالم متوجهين نحو هدف واحد ومشاعر واحدة ورب واحد لا شريك له .
وتتعدد وسائل الاتصال :
- **وسائل أَطلقتُ عليها مادية** وهى تتمثل في : ابتداءً من الثورة الالكترونية من خلال اختراع الطباعة وظهور الصحف والمجلات والراديو والتلفاز والأقمار الصناعية والقمر التجاري (عام 1965) وصولا إلي الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي.
-**ووسائل أَطلقتُ عليها أنها ضمنية** : تتمثل في صور ورسوم بأشكال معينة تحمل رسالة ما , فن النحت , حركات الرقص من خلال تعبيرات معينة وحركات معينة , رياضة ما , الفنون الشعبية فهي ليست وسيلة تسلية فحسب بل تحمل في طياتها عادات وتقاليد شعب ما أو مجتمع ما .
والجدير بالذكر أن هناك **عدة عوامل أو أنماط غالباً لا يتم معها الاتصال وهى** :
- **الجماعات المرجعية** : حيث أنها تمثل جماعات ينتمي إليها أفراد المجتمع مثل القبيلة أو الجماعات الدينية أو الثقافية التي يرتبط أفرادها بمواثيق وعهود ونظم اجتماعية معينة وبالتالي تولّد لديهم أفكار يستعصي تغييرها أو استبدالها بمجرد رسالة اتصالية تحمل أفكاراً تخالف فكرهم .
- **قادة الرأى والتوجيه** وخصوصاً ممن يتمتعون بمكانة اجتماعية كبيرة قد يصعب تغيير قرارهم وبالتالي يصعب الاتصال معهم .
- **مشاعر الإنتماء** إذا كانت قوية تجاه مكان ما أو فكر ما أو اعتقاد ما يصعب مع أفرادهم الاتصال.
- **قوة وسائل الاتصال في المجتمع المُستهدَف** , حيث كلما كانت قوة الاتصال لديهم أقوى من تلك التي يتصل بها المرسِل معهم يصعب الاتصال .

- **المستوى التعليمي والثقافي في المجتمع سواء مجتمع المُرسِل أو المُستقبِل** كلما كان المستوى مرتفع عند احدى الأطراف عن مستوى الطرف الآخر كلما صَعُبَ الاتصال .

وهناك خطر كبير في عملية الاتصال في الدول العربية يتمثل في **خضوع العالم العربي لقرارات الغرب** من إغلاق منافذ الاتصال مثل حصار الطيران والحصار الاقتصادي مثل المقاطعة المُعلَنة وغير المُعلَنة وقيود السفر والتعسّف في منح تأشيرات الدخول للبلدان الغربية , كذلك الغزو الفكري من الغرب , وخضوع قيادات العالم العربي لضغط الغرب الذي يستغل دائما حجة وهمية اختلقها تتمثل في محاربة الارهاب والأصولية والتطرف .

التواصل يكون بين طرفي اتصال . فلابد من وجود **التفاعل** بين طرفى الاتصال ويكون هذا التفاعل فيما هو **متشابه** وما هو **مختلف** أيضاً . فكما يقول بسام بركة – أستاذ اللسانيات في الجامعة اللبنانية- أن عملية التواصل تقع بين قطبى " **التطابق التام أو الغيرية المطلقة** ".

ويمكن التفريق بين مفهومى الاتصال والتواصل من خلال أن عملية التواصل هى أشمل من الاتصال وهى تدل على الاستمرارية والنجاح بين طرفى الاتصال. وعملية التواصل تفقد وضعها كرابط ديناميكي وفردي واجتماعي بين المتخاطبين إذا لم تؤد وظيفتها كمؤكِد لهوية الأفراد المشاركين في عملية التواصل .

دور الترجمة في نجاح عملية التواصل عبر الثقافات

في البداية هناك الترجمة على المستوى الفردي خلال عملية الاتصال في الخطاب العادي , وهناك الترجمة التي تكون على مستوى الدول والثقافات من خلال الترجمة الكتابية للمؤلفات بين الدول والشعوب بعضها البعض.

ومن أشهر الترجمات بين مصر وفرنسا التي أثرت حركة التنوير والفكر والعِلم كتاب وصف مصر وكتاب العلّامة رفاعة رافع الطهطاوي " تخليص الابريز في تلخيص باريز " .

وفي حالة الترجمة الكتابية فالأمانة اللغوية لا تساعد على إظهار الجوانب الثقافية والاجتماعية والتراثية والأيديلوجية للطرف الآخر .

وفي حالة الترجمة لابد أن يمر المترجم بمستويات من خلال وعى الواقع وتحويله إلى مفهوم ذهني كما يلي :

- المعلومة- المعرفة- الثقافة (الاجتماعية)- الهوية (الفردية والاجتماعية).

الترجمة بمعناها العام هى نقل الفكرة أو المفهوم من نظام رمز إلى نظام رموز آخر ويكون مجرد الكلام نقل من الكيان النفسي إلى الكيان اللساني .

وللمجامع اللغوية دور كبير في تفعيل حركة الترجمة والنهوض بها وتوفير الوسائل اللازمة لذلك.

في حالة الترجمة لابد من الانتباه إلى :

- **الاختلاف الجذري في التراكيب ووسائل التعبير بين اللغتين.**
- **الخلفية الثقافية والاجتماعية والفكرية التي ترتبط بها كلا اللغتين.**

في عملية الترجمة لابد من **مراعاة الفوارق الثقافية بين المجتمعات** التي تتكلمها.
فمن واجبات المترجم ألا يكتفي بنقل ما هو لغوي فقط (**الاطار السيميولوجي**) , بل أيضا الأخذ في الاعتبار لسياق الكلام وخصوصاً السياق غير اللغوي (**ما وراء السيميولوجي**) .

وفي هذا الشأن يقول الفيلسوف الفرنسي بول ريكور " **إن عمل المترجم لا يذهب من الكلمة إلى الجملة , إلى النص , إلى الثقافة (الأخرى) بل العكس من ذلك : بعد أن يتشبع المترجم من روح الثقافة بواسطة قراءات واسعة , ينزل من النص إلى الجملة , ثم بعدها إلى الكلمة (...) تفترض الترجمة في البداية فضولاً تجاه هذا الغريب** " ثم يضيف أنطوان بيرمان بعد ذلك عامل مهم هو " **الرغبة في الترجمة** ".
تقع لغة الترجمة بين اللغة الأولى (**اللغة الأصل أو المصدر**) , أى اللغة المنقول منها , واللغة الثانية (**اللغة الهدف**) , أى المنقول إليها , فالترجمة عملية ذهنية أيضا وليست ترجمة للمعاني فقط ولكن هناك بُعد نفسي وثقافي أيضاً , فالترجمة ليست عملية آلية جامدة يغيب عنها التفاعل النفسي.
ومن هنا لكل لغة خصوصياتها التي يجب علي المترجم معرفتها وادراكها بدقة حتي يستطيع توصيل الفكرة كما هى دون زيف أو تحريف .
وفي هذا الشأن يقول ماثيو قويدر أن : " في البداية هناك مهارات لغوية وثقافية تتضمن معرفة تحليل لغات التخصص في عدة لغات , ومعرفة فك رموز التغيرات اللغوية والقواعد الجماعية للتفاعل , وكذلك مستويات اللغة والمعايير والمفترضات والمضمر في الخطاب " .
التنوع والتعدد الثقافي لدى الفرد يتيح له سهولة عملية التواصل بين أفراد وثقافات الشعوب الأخرى .

العولمة وسلبياتها :

مفهوم العولمة : أول من تبني فكرة مفهوم العولمة بعد عالم السسيولوجيا الكندي "مارشال ماك" من جامعة تورنتو هو زبيغنيو بريجينسكي مستشار الرئيس الأمريكي كارتر الذي أكد على ضرورة أن تقدم أمريكا – التي تملك 65% من المادة الاعلامية على مستوى العالم- نموذجا كونيا للحداثة يحمل القيم الأمريكية التي يذيعونها دائما في الحرية وحقوق الإنسان.
وفي كتابه " نهاية التاريخ والانسان الأخير" قال فرانسيس فوكوياما الكاتب الأمريكي الياباني الأصل أنه بعد فترة حماقة طويلة أيقن العالم أن الرأسمالية هي أفضل أنواع النظم الاقتصادية وأن الليبرالية الغربية هي أسلوب الحياة الوحيد الصالح للبشرية وأن

الولايات المتحدة الأمريكية وامتدادها الاقتصادي القيمي أوروبا يمثلان الدورة النهائية للتاريخ وأن الانسان الغربي هو الانسان الكامل الأخير .
ومفهوم العولمة لا يقتصر على الجانب الاقتصادي فقط بل يشمل الجوانب البيئية والثقافية والاجتماعية والسياسية ولكن الجانب الاقتصادي هو أبرز مظاهر العولمة .
أصبح مصطلح العولمة متداوَلا منذ بداية التسعينات فبدأ في الفترة التي كان فيها تدمير جدار برلين عام 1989 وسقوط الاتحاد السوفيتي وانتهت بتغلب النظام الرأسمالي الغربي على النظام الشيوعي وانفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم المعاصر .
فالعولمة هو مصطلح ينسب إلي العَالَم وليس إلي العِلم .
فكلمة عولمة مصدر رباعي يشبه "دحرجة" وهو على وزن " قَولَبة " وهى تحويل الشئ إلي وضعية أخرى . ولكن هذا الوضع الآخر هو العالم كله . والعولمة أصلها من فعل عَولَمَ على وزن فَوعَلَ , واستخدام هذا الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل أى أن العولمة تحتاج لمن يعممها على العالَم .
وهذا المصطلح يعني أيضا الكونية أو الكوكبة أى تعميم نظام ونمط واحد للعالم .
وأطلَق عليه في بعض الكتب " النظام العالمي الجديد" .
فالعولمة أيديلوجياً تعبّر بصورة مباشرة عن إدارة الهيمنة على العالم وأمركته .
فالعولمة هي عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وازالة الفوارق الدينية والوطنية في اطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة والتي تزعم أنها سيدة الكون وحامية " النظام العالمي الجديد".
ومن أهداف العولمة السيطرة على رؤوس المال العربية واستثمارها في الغرب .
فمحو هوية الشعوب والشعور بالإغتراب (هوية أصلها "هو" فلا يعرف الفرد ولا الشعب من هو) كان من سلبيات العولمة .

الفرق بين العولمة والعالمية :

عالمية الاسلام تبني على الآية الكريمة " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (الحجرات الآية 11).
تقوم عالمية الاسلام على الجنس البشري والقيم المطلقة وتحترم خصوصيته وتفرد الشعوب والثقافات المحلية . وتقوم على العدل والانصاف , بينما ترتكز العولمة على نفى واستبعاد ثقافات الأمم وفرض ثقافة واحدة لدولة تمتلك القوة المادية وتهدف عبر العولمة لتحقيق مكاسب السوق لا منافع البشر.
فالعولمة تعتمد على جعل العالم عالما واحداً موجهاً توجيهاً واحداً في اطار حضارة واحدة ولذا تسمى الكونية أو الكوكبة . تستخدم العولمة وسائل الإعلام الفاسدة ومواقع التواصل الإجتماعي كوسائل أساسية لتحقيق أهدافها الخفيّة المخيفة المهددِة لهوية الشعوب .

إن هوية أى شعب تتمثل في الموروث الفكري والثقافي والعادات والتقاليد واللغة والتمسك بالعقيدة التي تعتقد فيها ...إلخ من خلال الانتماء لكل هذا والولاء له . وجاءت العولمة لتوحد جميع دول العالم على نظام واحد دون مراعاة لهذه الهوية , ففكر العولمة فكر أمريكي لا يتناسب كله مع فكر باقي الدول . ومن هنا ومع ظهور العولمة بدأت هوية الشعوب تندثر شيئاً فشيئاً . أمريكا تفرض على باقي الشعوب مجاراة أفكار العصر الحديث تلك الأفكار التي تضعها هي بما يتناسب معها فقط ومع مصالحها الشخصية .

أرى أنه من الهراء أن نطرح هذا السؤال الآتي : هل علينا أن نتمسك بالموروث والجذور حتى لا نفقد هويتنا أم علينا أن نواكب حداثة هذا العصر حتى نلحق ركب التقدم وفكر العولمة ؟ ولكن ما يعد اشكالية سيتمثل في السؤال التالي : **كيف نحقق المعادلة بين التمسك بالموروث والحفاظ على الهوية وفي نفس الوقت ننجح في مجاراة فكر العولمة ومواكبة حداثة العصر ومدى تأثير تحقيق تلك المعادلة على عملية التواصل الثقافي مع باقي الشعوب ؟** هذا هو السؤال المناسب ولكن الإجابة في منتهى السهولة من حيث الكلام ولكن هي في غاية التعقيد في حالة التطبيق .

لكى نحقق تلك المعادلة سيتطلب الأمر الإستغناء عن بعض الأشياء الموروثة التي لم يعد لها أهمية أو فعالية في هذا الزمن , فلابد من عمل عملية " انتقاء " من وجهة نظري لما هو له أولوية وضروري من التراث بحيث أنه فعلا يمثل الأصل والجذر في الحفاظ على الهوية وفي نفس الوقت نأخذ من فكر العولمة ما يتناسب مع ظروف العصر ويحافظ على هذا الموروث , فمثلا لا مانع إطلاقاً من تعلم اللغات للشعوب المختلفة حتى يسهل التواصل والحوار الثقافي بيننا وبينهم , بل يجب معرفة ليس فقط لغة الآخرين ولكن معرفة ثقافتهم وحضارتهم أيضاً حتى يسهل التواصل , ولكن في مقابل ذلك لا ننسى لغتنا الأصلية ولا ننسي ثقافتنا وحضارتنا العريقة .

تحقيق هذه المعادلة ومدى نجاحها هو معيار توازن الشعب واستقراره النفسي وبالتالي تكون الفرصة متاحه أمامه للتواصل مع باقي الشعوب .

ولا ننسى أن توازن الفرد نفسياً واجتماعياً هو عامل مهم جداً في عملية التواصل مع نفسه أولاً ثم مع محيط جماعته ومجتمعه ثم مع باقي مجتمعات دول العالم . من وجهة نظر أى فرد يحتاج إلى عنصرين ضروريين لكي يحقق التواصل مع الآخرين :

- **العنصر الأول هو التواصل مع الذات** ولن تتواصل مع الذات إلا من خلال التواصل مع الله سبحانه وتعالى , فكيف تريد أن تتواصل مع نفسك ومع غيرك وأن لا تتواصل مع الله الذي خلق نفسك وسواها وخلق غيرك ! فالشخص الذي يكره نفسه ولا يهتم بها ويكره المجتمع الذي يعيش فيه ولا يفهم ذاته فكيف له أن يتواصل مع الآخرين أصلاً !

- **والعنصر الثاني هو التأهيل المتكامل** من تأهيل خُلقي وعلمي وعملي وثقافي وتربوي ... إلخ . إنها منظومة متكاملة لا تنفصل عن بعضها لبناء شخصية الفرد , فلو

تخيلنا مثلاً أننا لدينا فرد يجيد ويتقن اللغات والعلوم والفنون والحضارات الخاصة بمجتمعه وببعض المجتمعات ولكنه لا يمتلك الأخلاق , فكيف له إذاً أن يتواصل !!!
هذا كان علي المستوى الفردي أى حين تختص عملية التواصل بالفرد نفسه مع محيط مجتمعه أو مع مجتمع آخر , ماذا عن التواصل على مستوى الشعوب ؟ في الواقع العربي نستطيع القول أننا في تفكك , فلم نعد نحن قادة العرب كما كنا سابقاً وعلى المستوي الدول الغربية أرى أننا كشعب نحتاج للمزيد من تعلّم كيف نحسن التعامل الثقافي والاجتماعي مع تلك الدول .
إذاً نحن في حاجة لمزيد من حسن التواصل الذي هو سلسلة مترابطة تبدأ من التواصل مع الله سبحانه وتعالي خالق الكون كله ثم التواصل مع الذات ثم مع الجيران والأقارب ومحيط المجتمع ثم مع باقي المجتمعات .

خاتمة

في الختام نستطيع أن نوصي ببعض التوصيات كما يلي :

توصيات للنهوض بالمستوى الأكاديمي للغة

***ضرورة عمل الاختبارات القَبليّة للطلاب لقياس مستواهم في اللغة وبالتالي يعرف المعلم كيف يبدأ أو من أين يبدأ معهم .**

***ضرورة الاهتمام بمعامل اللغات وكذلك تنمية اللغة العربية الفصحى لدى الطلاب للحفاظ على الهوية العربية .**

***عمل أنشطة طلابية لكل أقسام اللغات في المدارس والجامعات المختلفة وتكون هذه الأنشطة خاصة باللغة وتكون مستمرة ومتنوعة بحيث تناسب وتراعي الفروق الفردية لدي الطلاب .**

***عمل مجلة طلابية لأقسام اللغات في الجامعات وتكون باللغة التي يتخصص فيها الطالب وأن يشارك في تلك المجلة بأنشطة وهوايات مختلفة وتشجيع المتفوقين وتعزيزهم .**

***التركيز في المناهج الجامعية خصوصاً على ما يفيد الطالب المتخصص في اللغة على الممارسة الفعلية للغة .**

***تدريب الطالب الجامعي أثناء سنوات دراسته الجامعية على الانخراط والمشاركة في التدريب العملي في المدارس سيرا على نهج كليات التربية .**

***ضرورة تكثيف الدراسات النفس-لغوية والسوسيو- لغوية لقياس مدى رضا الطلاب عن اللغة وعن مستواهم فيها وبالتالي نستطيع التحسين والتطوير في المستوى .**

***تشجيع الطلاب المتفوقين وتعزيزهم لزيادة الدافعية لديهم ولإثارة حماس الآخرين وخلق روح التنافس الإيجابي بينهم .**

***تكليف الطلاب بتكليفات دراسية يطبقونها فعليا (وليس نظريا فقط) في مواد اللغات لتحقيق أكبر قدر من التدريب والوصول لدرجة المهارة .**

***نطالب بقدر الإمكان بُعد الأستاذ الجامعي عن أسلوب التلقين في الشرح وخصوصا في مواد الصوتيات واللغويات والقواعد , وأن تتميز المحاضرة بالحوار والمناقشة والعصف الذهني والتطبيق العملي الذي يضمن بقدر الإمكان وصول الطالب لأعلي درجات الفهم والتحصيل .**

توصيات للإرتقاء باللغة على المستوى السلوكي والثقافي

***ضرورة التواصل الفعال مع الله ثم التواصل مع الذات وتقدير الذات والتكيف مع البيئة والمجتمع حتي نصل لدرجة التوازن النفسي وبالتالي يمكننا بسهولة التواصل مع الآخرين .**

***اتباع آداب الذوق العام وعدم الإنسياق وراء ما لا يناسب عاداتنا وتقاليدنا والدين والعرف .**

***تعزيز اللغة العربية الفصحى لدى الأفراد مما يعزز لديهم مشاعر الانتماء والولاء والحفاظ على الهوية الخاصة بهم .**

***الزيارات الميدانية المتبادلة بين الجامعات والدول المختلفة في شتى فروع المعرفة لتعزيز التواصل وكسر حاجز الإنطواء والانغلاق .**

***الاهتمام بحركة الترجمة وجعل مادة الترجمة ومواد اللغويات والصوتيات مواد ثابتة خلال سنوات الدراسة الجامعية بل والعمل علي تطوير مناهج تلك المواد وتبسيطها للطالب ووضعها في التطبيق الفعلي والبعد عن الجمود والجانب النظري بقدر الإمكان .**

***عدم الإنسياق والتقليد الأعمى لبعض تقاليد الغرب لكى نحافظ على هويتنا الثقافية , فالشعب الذي ليس له هوية مستقلة واضحة ومعتز بها يكن سهل السيطرة عليه ويصعب عليه التواصل مع ذاته ومع الآخرين ويشعر بعدم التوازن النفسي والإغتراب بل قد يصل به الحال للمرض النفسي أو المرض العقلي .**

المراجع

1- أحمد حسن محمد , الاتصال ودوره في النمو الثقافي, جامعة افريقيا العالمية (الخرطوم – السودان) , مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية , العدد الرابع 2004 , 1425 ه.

2- إنتان ساري ديوي, العلاقة بين اللغة والترجمة , جامعة الاسلامية الحكومية " تولونج أجونج " , مجلة التدريس , المجلد الرابع , العدد الأول , يونيو 2016 .
3- بسام بركة , الترجمة العربية بين الاختلاف اللغوي والخلاف الثقافي , الجامعة اللبنانية , د.ت.
4- شفيقة العلوي , العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنؤام تشومسكي , المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة , الجزائر , حوليات التراث , 2007 .
5- عقلة محمود الصمادي و فواز محمد العبد الحق , نظريات تعلم اللغة واكتسابها (تضمينات لتعلم العربية وتعليمها) , جامعة اليرموك , د.ت.
6- موسى رشيد حتاملة , نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية .
7- هشام صويلح , توظيف النظريات اللسانية والتعليمية في تدريس اللغة , جامعة سكيكدة .
8- هاشم أشعري , نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي , جامعة كياهي الحاج عبد الحليم موجوكرطا , مجلة التدريس , المجلد الخامس , العدد الأول , يونيو 2017.
9- ه. دوجلاس براون , أسس تعلم اللغة وتعليمها , ترجمة عبده الراجحي وعلي علي أحمد شعبان , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت , 1994.
10- عبد المجيد رازق , نظرية اللسانيات الحديثة وأثرها في تحليل التراكيب النحوية , رسالة ماجستير (تخصص علم اللغة – قسم اللغة العربية) , جامعة القاهرة , 2013.
11- سليمة قسمية , النظرية الخليلية الحديثة للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (جذورها التاريخية وتطبيقاتها اللسانية) , جامعة محمد بوضياف – المسيلة , الجزائر , 2017.
12- صالح الرقب , العولمة , الجامعة الاسلامية , الطبعة الأولى , 200.